

الأمر الواقع والتعامي

بقلم الياس بجاني

مسؤول لجنة الإعلام في المنسقية العامة للمؤسسات اللبنانية الكندية

إنه ومنذ العام ١٩٩٠ فقد لبنان استقلاله بالكامل ووقع تحت الهيمنة السورية العسكرية المباشرة ضمن مخطط إقليمي دولي كان وما زال لبنان ضحيته الرئيسية. أما المطلوب فهو تمرير الحلول المسماة سلمية في المنطقة على حساب لبنان الأرض والإنسان والكيان والهوية، ولهذا السبب أبعدت حكومة الرئيس عون الشرعية بقوة السلاح وكرت بعدها الخطوات التفتيتية لكل ما هو لبناني، إلى أن وصلنا بعد تسع سنوات من المعاناة والتفكك إلى الحكم العسكري الحالي الذي ضرب كل المسلمات وقلب كل المعايير جاعلاً من لبنان دولة لا تختلف كثيراً عن الدول التي كانت واقعة تحت قبضة الاتحاد السوفياتي قبل أن ينفرط عقده غير مأسوف عليه.

أما المستهجن فهو إصرار البعض من اللبنانيين على التعامي عن الواقع الشاذ والجائر المفروض، والقول أن لبنان دولة مستقلة ولها رئيس جمهورية ومجلس نيابي ووزارة ومؤسسات دستورية. والمفارقة هنا انه فيما الفئات الحرة في لبنان لا تتوانى عن الشهادة للحق في وجه الظالمين، نجد في بلاد الانتشار بعض النعامات المضللة، إضافة إلى أبواب المحتل المهللة، تجرف في موكب التبجيل والتبخير لمغتصبي مقدرات الوطن. وفيما بعض الرموز في لبنان يبرر إذعانه للمحتل علناً أم سراً بالخوف من الانتقام والتشفي، لا نجد مبرراً لنعامات الخارج غرس رؤوسها في الرمال لأن بلدان إقامتها في الانتشار تقدر وتصون حرية الرأي والتعبير والممارسات الديموقراطية.

أما الواقع يشهد أن أجهزة الشقيقة تتولى دورياً المجيء بطاقم سلطة تستنفد رصيده لترميهِ خارجاً، فتحل محله فريقاً آخر مختلفاً في الشكل ومفرغاً من القرار في الجوهر. إن رموز حكم الواجهات يؤمنون غطاءً مثالياً لتحكم الأشقاء بقدراتنا دون تحمل تبعات ممارساتهم. فهؤلاء ينفذون ولا يحكمون بشهادة الكثير على اختلاف مواقعهم، فعلى سبيل المثال لا الحصر نورد التصريحات الثلاثة التالية وهي لأعنى رموز العاملين تحت مظلة الطائف: قال السيد نبيه بري تعليقاً على كثرة الطروحات الخاصة بقانون الانتخاب المقترح: "إن كل ما طرح حتى الآن هو من نوع التمني ليس إلا، لأن القيادة السورية لم تقل كلمتها بعد". وبعد مقابلته للعماد لحود مؤخراً قال السيد وليد جنبلاط لجريدة الديار: "إن القيادة السورية هي التي حددت لي الموعد وعلى كل حال أنا أوامري أتلقاها من القيادة السورية ومع الإخوان

نرتب الوضع". أما السيد رفيق الحريري وفي عز قوته الكاذبة يوم كان في الحكم رد على الذين طالبوه بالاستقالة قائلاً ما معناه، إن من عيني هو فقط الذي يحدد متى أرحل. وحده التيار الوطني الحر رفض الاتجار وراء الأوهام، ووحده رفض الاعتراف بشرعية الحكومات التي توالى على لبنان منذ العام ١٩٩٠، ووحده الذي رفض هرطقة تعيين العماد لحود منبهاً الشعب إلى أن تغيير الوجوه السياسية التقليدية البالية بأخرى من المؤسسة العسكرية لا يعني مطلقاً تغييراً في الواقع المر لأن المتحكم والناهي الغريب لم يتغير والمخطط لتفتيت لبنان مستمر وبقوة. الآن وبعد أن تبددت الهالة التي أحيط بها حكم العماد لحود ها هم رموز الطائف أنفسهم يعطون رأيهم به، وإن أبلغ هذه الآراء جاء على لسان الوزير السابق باسم السبع في مجلس النواب يوم الثلاثاء الماضي إذ قال: "إننا أصبحنا نحاذر التحدث حتى مع نساءنا، إن خطوطي الهاتفية مراقبة وكذلك هي خطوط تلفونات رئيس المجلس النيابي والنواب والوزراء ويكاد لا يفلت سياسي واحد من التنصت على خطوته. وأضاف لم يسبق للبنان أن شهد ضبابية سياسية على صورة الضباب الذي يحجب الوجوه الحقيقية للسلطة ويكشف عن إدارات رديفة تتولى إصدار الأوامر والتعاميم وإغراق السوق الإعلامي بشتى أنواع البيانات والتوجيهات".

إن هذا قليل من كثير، وإن دل على شيء، فهو على أن لبنان دولة محتلة بالكامل وحكامها لا يختلفون بشيء عن أعضاء حكومة فيشي الفرنسية التي عينها هتلر بعد أن احتل فرنسا. إن لبنان لن يستعيد قراره في ظل الحكم القائم ولن يرى الشعب اللبناني أي حل لمعاناته الخائفة قبل رحيل القوى الغريبة عن أرضه من سورية وإسرائيلية وغيرها. كما أن لبنان لن يكون مفاوضاً فاعلاً في أية مفاوضات مع إسرائيل لاستعادة أرضه المحتلة ما لم يفصل مساره عن المسار السوري، وإلا بقي ورقة يتقاذفها المتفاوضون ويتفاوضون عليها خصوصاً وأن المخطط الإقليمي يقضي بتوطين حوالي نصف مليون فلسطيني في لبنان.

أما التعامي عن الأمر الواقع المفروض على لبنان واستمرار أكثرية السياسيين وبعض رجال الدين والفاعليات اللبنانيين وخصوصاً في بلاد الانتشار بلعب الأدوار الطروادية وتفضيل المصالح الشخصية على المصالح الوطنية فلن يؤدي إلا إلى المزيد من التهميش والضياع وفقدان لبنان، كل لبنان. أما الخاسر يوم يفقد لبنان نفسه فسيكون الشعب اللبناني بكل شرائحه، ويومها لن يفيد الندم، فدعونا جميعاً نواجه الواقع ونتعامل معه لتغييره وليس للرضوخ له والقبول به، وأول الغيث هو الاعتراف قولاً وفعلاً بأن لبنان محتل وحكمه لا يمثل اللبنانيين ومن ثم الكف عن التزلف والتبخير.

عشتم وعاش لبنان الحرة والاستقلال